الفصل الأول

ما هو التنبؤ بالغيب؟

"وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ".

والغيب هو ما لا نعتمد في إدراكه على إحدى الحواس فلا يدخل في دائرته استنباط النتائج من مقدماتها ومعرفة المسببات من أسبابها بطريق الاستدلال، وقياس ما غاب بما حضر، كعلمنا شفاء المريض قبل حصوله إذا وجدنا العلاج ناجعاً، وكثرة ثمار الأرض إذا رأينا النبات نامياً، وسقوط أمة إذا ألفينا أبناءها متفرق القلوب منغمسين في اللهو والترف منصرفين عن الجد والعمل. كل ذلك وما أشبهه خارج عن دائرة علم الغيب أو التنبؤ بالغيب الذي هو موضوع هذا الكتيب.

والإنسان مولع منذ أن وجد على ظهر الأرض إلى اكتشاف الغيب ومعرفة ما يخفيه المستقبل من أحداث. وقد ظهر من بنى البشر في كل عصر من العصور أناس ادعوا أن لهم القدرة على التنبؤ بالغيب وقراءة المستقبل، وقد خلعت عليهم هذه القدرة مهابة واحتراماً وتبجيلاً بين الناس، بل لقد أدنتهم هذه المقدرة من مراتب الأنبياء وسلكتهم في عداد أولياء الله الصالحين.

ولم يقف هذا الميل أو الإدعاء بالقدرة على كشف الغيب عند حد

الأفراد بل تعداهم إلى الأمم والشعوب؛ فقديماً برع الأشوريين في التنبؤ بالغيب وذلك عن طريق ملاحظة الكواكب والأجرام السماوية في مسالكها وقد مكنتهم سماؤهم الصافية من مراقبة حركاتها وقالوا إن هذه الحركات دلالات على حظوظ الناس ومصائرهم. وقد أخذ الكلدانيون هذا العلم عنهم وواصلوا قراءة صفحة السماء ومشاهدة النجوم في تحركاتها وأقاموا على ذلك كله علماً يمكنهم من التنبؤ بحظوظ الناس ومعرفة المصير الذي قدر لهم. ولقد كان المصريون القدماء نصيب وافر من هذا العلم ورثوه عن أسلافهم خلال ماض سحيق يمتد إلى أجيال لا يكاد يحصيها العد.

أما الإغريق فكانوا لا يقدمون على أمر من الأمور إلا بعد التماس النصيحة من الآلهة واستشارة الكهنة الذين كانوا يدعون التنبؤ بالغيب. وكان علم الكهانة شائعاً عند العرب أيام الجاهلية إذ كانوا يطلقون لفظة كاهن على كل من ادعى علم الغيب، أو تنبأ بشيء قبل وقوعه. وقد نبغ فيهم كثيرون من الكهان مثل شق بن أنمار، وسطيح بن مازن، وطريفة الكاهنة، وزبراء الكاهنة وغيرهم.

وقد ورد في الكتاب المقدس الشيء الكثير من التنبؤات على ألسنة بعض الأنبياء من أمثال إرميا وحزقيل. وقام نفر من العلماء يدرسون هرم الجيزة الأكبر من حيث دلالته على بعض التنبؤات ويؤكدون بالأدلة الحسابية الملموسة أن بعضها قد تحقق في العصر الحاضر.

واكن التنبؤ بالغيب من الأمور الشائعة في العصور الوسطى وظهر في تلك العصور عرافون كثيرون تنبأوا بأمور كثيرة تحقق الكثير منها، ولعل

أشهر العرافين هو نستراداموس **Nostradamus** أحد علماء العصور الوسطى، وقد عاش في القرن السادس عشر وكانت له تنبؤات كثيرة تحقق منها الجزء الأكبر. وقد شابت تنبؤاته الشيء الكثير من الغموض بسبب التواء أسلوبها، فقد كتب هذا العالم تنبؤاته في شكل أشعار رمزية لها دلالالتها الخاصة نذكر منها على سبيل المثال النبوءة التالية:

"سوف يغلب الأسد الصغير الأسد الكبير في ساحة النزال بعد مبارزة واحدة. سوف يطعن ناظريه الموضوعين في قفص من ذهب، وبعدها يموت الأسد الكبير ميتة شنيعة".

كان نسترادامو س هذا معاصراً للملك هنرى الثاني ملك فرنسا. وفي يوليه من عام ١٥٥٩ احتفل هنري بزواج أخته مرجريت من دوق سافوي. وكان من بين برنامج الاحتفال إقامة مسابقة بالطعن بالرماح. وكان هنري ماهراً في اللعب بالرمح لذلك دعا أحد ضيوفه من الشبان وهو إيرل مونتجومري من الحرس الاسكتلندي لمنازلته بالرماح. وقد اعتذر هذا الشاب عن هذا الشرف المحوط بالأخطار ولكن الملك أصر على ذلك. وفي خلال النزال اخترق رمح مونتجومري خوذة خصمه الذهبية ودخل الرمح في عين الملك اليمني. وقد مات الملك هنري الثاني بعد ذلك ميتة شنيعة مؤلمة.

وتنبأ وليم ليللي **William Lilly** المنجم الإنجليزي في عام ١٦٥١ بالطاعون الذي اجتاح مدينة لندن عام ١٦٦٥ وبالحريق الذي دمرها عام ١٦٦٦.

وكان تنبؤه من الدقة بحيث أنه تألفت بعد حريق لندن لجنة برلمانية لسؤال ليللي هذا عما إذا كان تنبؤه هذا مستمداً من معلومات أخرى غير ما أنبأته به النجوم والكواكب وذلك خشية أن يكون ذلك الحريق قد شب نتيجة مؤامرة من المؤامرات.

وبير **Peare** متنبئ إنجليزي آخر تنبأ في عام ١٨٦٨ بأن الملك جورج – وكان في ذلك الوقت في الثانية من عمره، وله من الإخوة ما يكبرونه سناً – سوف يصبح ملكاً لإنجلترا تحت اسم جورج الخامس، وقد تحققت هذه النبؤة.

وتنبأ أحد الإنجليز في عام ١٨٨٦ بأن عام ١٩١٧ سوف يكون على قدر كبير من الأهمية بالنسبة لإسرائيل وبريطانيا. والمعروف أن اللورد اللنبي قد دخل فلسطين عام ١٩١٧ واستولى على القدس وأصبحت فلسطين تحت الانتداب البريطاني بعد أن ظلت تحت الحكم الإسلامي طوال ثلاثة عشر قرناً من الزمان وقد مهد ذلك لظهور دولة إسرائيل الحديثة.

وقد ظهرت قبل عام ١٩١٤ نبوءات كثيرة عن الأحداث الجسام التي حلت بأوروبا فيما بين عامي ١٩١٤ و ١٩٢٠ وهي الفترة التي نشبت فيها الحرب العالمية الأولى. فقد تنبأ العراف ويتزر **Weitzer** في أوائل القرن الحالي بأن السنوات الإحدى عشر من ١٩٠٩ إلى ١٩٢٠ سوف تكون ذات شأن خطير بالنسبة للقارة الأوروبية، كما تنبأ معظم العرافين والمنجمين بدون استثناء بحرب ضروس تشنها ألمانيا خلال الأعوام من ١٩١٣ إلى ١٩١٦. وفي عام ١٩٠٥ أي قبل نشوب الحرب العلمية

الأولى بعشر سنوات تقريباً نشرت مدام تيبس Thebes العرافة الفرنسية المشهورة هذه الكلمات في التقويم السنوي الفرنسي:

"إن مستقبل بلجيكا مخزن مظلم. إن هذه الدولة الصغيرة توحي بالرفاهية والسلام ولكني أكرر كلماتي السابقة، أن هذه البلاد سوف تشعل النيران في أوروبا بأسرها".

ونحن نذكر جميعاً كيف أغارت ألمانيا على بلجيكا في الحرب العالمية الأولى على الرغم من معاهدة عدم الاعتداء التي كانت معقودة بينها وبين تلك الدولة، الأمر الذي أدى إلى نعت هذه المعاهدة بأنها "قصاصة ورق" وكان ذلك هو السبب الذي دفع إنجلترا إلى دخول الحرب العالمية الأولى.

وذكرت مدام تيبس في طبعة سنة ١٩١٣ من ذلك التقويم ذاته ما يلي:

"وإني أرى بين أيدي كبار الإيطاليين دلائل تدل على حرب ضروس لم يحدث لها سبيه من قبل. إن ألمانيا تهدد أوروبا كلها بوجه عام وفرنسا بوجه خاص، ولكن الحرب إذا وقعت فسوف لا تحتفظ ألمانيا بعدها بمركزها الرفيع. وقد سبق أن أكدت مراراً أن أيام القيصر أصبحت معدودات، وسوف تحدث بعده تغيرات هائلة في ألمانيا".

وقد تنبأ بعض العرافين بموت اللورد كتشنر غرقاً وهو في السادسة والستين من عمره، وأن مارك توين الروائي المشهور سوف يصبح ثرياً في أواخر أيامه أي بعد الثامنة والستين من عمره، وهي كلها أمور تحققت عن آخرها فيما بعد.

ومجمل القول إن التنبؤات موجودة منذ أن وجد الإنسان. ونحن اليوم نسخر من النبوءات التي يطالعنا بها من حين لآخر بعض العرافين والمنجمين وإن كان الكثيرون منا يعتقدون فيها وإن لم يفصحوا عن هذا الاعتقاد خوفاً من أن يرميهم الناس بالسذاجة أو التأخر العقلي. وليس هذا بجديد فقد وجد على الدوام في كل عصر من العصور أناس سخروا من هذه النبوءات وآخرون اعتقدوا فيها. ولعل مرد هذا أنه لم يوجد قط عراف أو منجم صدق كل الصدق فيما تنبأ به. كما نجد إلى جانب ذلك عرافين تنبأوا بأشياء لا تميل الناس عادة إلى تصديقها كهؤلاء الذين يتنبأون من وقت لآخر بقرب فناء العالم فكان مصيرهم السخرية والمقت، بل إن بعض العرافين قد تنبأوا في العهد القديم بفناء أو زوال قارة الأطلانتس (القارة المفقودة) فكان مصيرهم القتل.

والإنسان بطبعه ميال إلى الشك بل إن الشك عنصر من عناصر حياته العقلية، ومما زاد من شكه في هذه النبوءات ظهور بعض العرافين تنبأوا بنبوءات كاذبة لم يتحقق منها شيء، على أن هذه النبوءات الكاذبة لا يجب أن تقلل من قيمة النبوءات على الإطلاق، أو تكون مطعناً في فن الكهانة، فما من فن إلا وكان حدس أهله عرضة للكذب. فإذا أخطأ الطبيب في حدسه فإن ذلك لا يطعن في فن الطب ولا يمكن كذلك أن نقولإن الملاحة ليست فناً لمجرد أن الكثيرين من الممتازين من قباطنة السفن قد تحطمت سفنهم وابتلعتهم المياه، وهل يفقد الفن العسكري قيمته لأن قائداً طائر الصيت قد حلت به الهزيمة وفقد جيشه وولى الأدبار؟

لقد ذكر العرافون كثيراً من النبوءات الصادقة، وتحفظ لنا كتب التاريخ الكثير من هذه النبوءات الصادقة التي تحققت عن آخرها وهذا يدعونا إلى التساؤل: من هو العراف؟

هناك تعريف حديث يقول إن العراف هو شخص بعيد النظر الروحي فكما أن هناك في العالم الطبيعي قصر نظر وبعد نظر فكذلك هناك بعد نظر روحي. ويمكن أن نعرف التنبؤ بالأختصار بأنه قوة تمكن صاحبها من رؤية الأشياء والحوادث غير المنظورة، سواء في الزمان أو في المكان. والنبوءة لا تفيد عادة قائلها بشيء من الأشياء، بل كثيراً ما أدت بعض النبوءات إلى استشهاد من قالوا بها.

ومما هو جدير بالذكر أن علماء البحوث الروحية، وكثيراً من علماء النفس يعتقدون اليوم في تبادل الشعور والخواطر مع الغير وهو ما يعرف عندهم باسم "تلباثي" **Telepathty** ويرون في التنبؤ بالحوادث المستقبلة حقيقة ثابتة لا يمكن إنكارها، وإن لم يجدوا لها تفسيراً تطمئن إليه النفس. وليس هذا مقصوراً على تبادل الشعور والخواطر والتنبؤ بالأحداث المستقبلة، بل هناك أيضاً حقائق علمية كثيرة لا نجد لها تفسيراً، أو أنها لم تفسر بعد التفسير الكافي المقنع.

إن كل ما نتمتع به اليوم من وسائل الراحة والرفاهية إنما هو ثمار آراء بدت في أول أمرها غريبة مستنكرة، وكم سفهت واستهزئ بأصحابها ورموا بالجنون وفساد الرأى فيما يذهبون، ولكن ما لبث ما كان بالأمس مزاعم باطلة أن صار اليوم حقائق ثابتة ذات ثمار يانعة فيها منافع للناس.

نحن لا نعرف اليوم على سبيل المثال ما هي الكهرباء وأن كل ما نعرفه عنها هو آثارها التي نشاهدها، وكذلك الحال بالنسبة للأشعة الكونية أو القوة التي تتحكم في الذرة وغير ذلك من الظواهر الكونية. لقد مضى الوقت الذي كانت تعتبر فيه هذه الأشياء التي لا نجد لها تفسيراً من خوارق الطبيعة، ولكننا لا نميل اليوم إلى نعتها بأنها من خوارق الطبيعة، ولكنها أشياء طبيعية لم تفسر بعد.

إن من مظاهر تفكيرنا تلك الظاهرة التي نطلق عليها لفظ "المحال" فنحن نعرف أنه منذ أكثر من قرن من الزمان كانت بعض الأشياء المألوفة لنا اليوم تعد من الأمور المستحيلة. ألم تكن مبادئ نظريات الطيران والغواصات والراديو والتليفزيون آراء غريبة طالما سخر الناس من القائلين بها، محتجين إذ ذاك بأن تحقيق تلك الآراء مما يتنافى وسنن الكون وقوانينه الطبيعية.

فنحن نعرف أن المهندسين منذ أكثر من قرن من الزمان، ذكروا أنه من المحال أن تجري عربات حديدية ذات عجلات ملساء فوق خطين من الحديد وهي محملة بالأثقال دون أن تنزلق، وأنه من المحال أن تجري هذه العربات الحديدية بسرعة عشرين أو ثلاثين ميلاً في الساعة دون أن تهشم أجسام البشر الذين يركبون هذه العربات أو تحدث لهم أشد أنواع الاضطرابات المخية والعصبية.

وكان القول بإمكان صعود الإنسان إلى القمر أو غيره من الأجرام السماوية في مستهل هذا القرن يعد ضرباً من الخيال لا يمكن تحقيقه ولكننا اليوم أصبحنا قاب قوسين أو أدنى من الصعود إلى هذه الأجرام السماوية بفضل

هذه الصواريخ الجبارة التي هي من صنع الإنسان. إن عدد الأشياء التي نعتها الإنسان بأنها محالة تتفق وعدد المخترعات والمكتشفات الإنسانية.

إن عالماً ممتازاً مثل السير همفري دافي Humphry Davy قد سخر من الفكرة القائلة بأنه في الإمكان إنارة مدينة كبيرة مثل لندن بمصابيح الغاز، وأن أكاديمية العلوم الملكية البريطانية قد ماجت بأصوات السخرية والاستنكار عندما أعلن أمامها بنجامين فرانكلين رأيه عن مانعة الصواعق. ومجمل القول إن الإعتقاد في استحالة تحقيق الأشياء الصعبة أو غير المفهومة من العادات التي كونتها الإنسانية خلال تاريخها الطويل.

لقد كان هناك من سوء الحظ نبوءات كثيرة ظهرت خلال التطور البشري لم يتحقق منها شيء، وكان إلى جانبها نبوءات صادقة ولكنها كانت مع ذلك موضع الشك والسخرية شأنها في ذلك شأن النبوءات الكاذبة.

إن الشك عادة عقلية مفيدة، ولكن كثيراً ما يساء استعماله فيكون ضرره أكثر من نفعه. وإنه على الرغم من الشك والسخرية في محيط التكهن بالغيب فإن النبوءات ظاهرة قد تغلغت في ضمير الإنسانية منذ آلاف من السنين، ولم تقو أية قوة على محوها من ضمير الإنسانية. إن تعلق المرأة الحديثة – بل وكثير من الرجال – بالمنجمين والعرافين وضاربي الرمل والودع أمر يفوق الوصف. إن اعتقادنا في النبوءات لا يمكن أن يموت شأنه في ذلك شأن اعتقادنا في كثير من الظواهر النفسية والأمور الروحية وإن عز علينا تفسيرها.

ومن أبسط الأمثلة التي يفسرون بها سبق النظر في مجال الغيب، قولهم

فلتتخيل قطار سكة حديد يسير حول جبل من الجبال، ويقترب منه من الناحية الأخرى من الجبل قطار آخر يسير على نفس الخط الحديدي. وأن كلا من القطارين يسير بسرعة واحدة ولا يدري أحدهما شيئاً عن الآخر. ولا يتلقى هذان القطاران أية إشارة للتوقف. والنتيجة الحتمية هي تصادم القطارين لأن كلا منهما جاهل بمصيره. وهناك رجل في طائرة على ارتفاع بضعة آلاف من الأقدام فوق القطارين وهو مدرك تمام الإدراك لما سوف يحدث للقطارين فهذا واضح أمامه تمام الوضوح. ولو كان في استطاعته الاتصال بالقطارين لأنبأهما بالكارثة التي تنتظرهما، اللهم إلا إذا اتخذ القطاران من الإجراءات السريعة المباشرة التي تحول دون وقوع هذه الكارثة. إن هذه القدرة التنبؤية بسيطة غاية البساطة بالنسبة للطيار إنه في حالة تسمح له بأن يرى ويدرك ويتنبأ. كذلك العراف هو في حالة نفسية تسمح له بأن يرى أحداث المستقبل ويتنبأ بها.

والواقع أن التنبؤ بالغيب ظاهرة من ظواهر الحياة الإنسانية، حظها من البحث العلمي ضئيل بالمقارنة مع الظواهر الإنسانية الخرى. لقد ضمت كثير من المؤلفات المنوعة شوارد مبعثرة من المعلومات المثيرة عن التنبؤات الصادقة والأخرى الكاذبة. وليس غرضنا من هذا البحث المقتضب أن نؤيد أو ننكر القدرة على التنبؤ بالغيب، إنما غرضنا أن نجعل القارئ على دراية بموضوع من الموضوعات التي تثير اهتمامه وشغفه ثم نترك له بعد ذلك الحكم على الموضوع وفق ما يهتدي إليه عقله وإحساسه.